اسم الدرس : عاشوراء الامل والعزيمة

تصنيف الدرس : خطبة

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، الحمد لله الذي أعز أولياءه ونصر جنده وهزم الأحزاب وحده، الحمد لله الذي جعل أياما في هذه الدنيا تظهر فيها قدرته مطلقة واضحة هي أيام الله سبحانه وتعالى، الحمد لله الذي قدر يوماً تُجمع فيه الخلائق هو يوم الدين يقتص الله عز وجل فيه للمظلوم من الظالم، الحمد لله رب العالمين.

وأصلى وأسلم على سيد الخلق أجمعين محمد صلى الله عليه وسلم بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة، فما ترك خيراً إلا ودلنا عليه وما ترك شرا إلا وحذرنا منه فصلاة وسلاماً دائمين من رب العالمين على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَموتُنَّ إِلّا وَأَنتُم مُسلِمونَ﴾ [ال عمران ١٠٢]

أما بعد أحبتي في الله في هذه الأيام منَّ الله عز وجل علينا وأدركنا هذا الشهر العظيم شهر الله المحرم، هذا الشهر الذي حدثت فيه من المعجزات والآيات، فيه يومٌ من أيام الله سبحانه وتعالى هو "يوم عاشوراء" هذا الشهر العظيم به من الآيات والعبر هذا الشهر قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم:(أفضل الصيام بعد رمضان صيام شهر الله المحرم) [1] في هذا الشهر يوم عاشوراء، هذا اليوم العظيم الذى هو يوم من أيام الله والأيام كلها لله لكن حينما يطلق هذا اللفظ "أيام الله" أي هذا اليوم الذي تظهر فيه قدرة الله جليةً واضحةً لا ينازع فيها أحد، ولا يماري فيها أحد... لكن أهل الأيمان يعلمون ذلك في كل يوم، يبصرون قدرة الله المطلقة في كل يوم... قال ربنا سبحانه وتعالى ﴿كُلَّ يَومٍ هُوَ في شَأنٍ﴾ [الرحمن ٢٩]في كل لحظة من اللحظات تمر في هذه الدنيا لله عز وجل فيها فعل عجيب وشأنٌ غريب؛ في هذه اللحظات ينصر فيها مظلوماً، ويقصم ظالماً ،ويرزق هذا، ويمنع هذا، فكل يومٍ هو في شأن. ولكن من رحمته بالخلق أن قدر أياماً معينة وأياما محددة تظهر فيها قدرته واضحة لكل ناس وهذا من معاني اسم الله عز وجل الظاهر... أنه يقدر أياماً تظهر فيها القدرة المطلقة حتى يراها كل الناس، فلا يماري ولا يجادل أحد.

[1] [عن أبي هريرة:] أَفْضَلُ الصِّيامِ، بَعْدَ رَمَضانَ، شَهْرُ اللهِ المُحَرَّمُ، وأَفْضَلُ الصَّلاةِ، بَعْدَ الفَرِيضَةِ، صَلاةُ اللَّيْلِ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ١١٦٣ • [صحيح] •

هذه الأيام العظيمة تذكرنا وتعطينا الأمل في قدرة الله المطلقة التي تقصم الظالمين وتنصر المظلومين في أيامٍ مضت ...كانت هذه الأحداث حقيقةً ذكرها الله عز وجل في القرآن؛ أخبرنا الله عز وجل عن هذا الملك الظالم عن فرعون فلطالما عذب بني إسرائيل قتل الأولاد واستحيا النساء وعذب الرجال وقتلهم واستعملهم في خدمته، طال عليهم الظلم...ثم منَّ الله عز وجل عليهم أن بعث فيهم موسى الكليم عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات وأتم التسليم. جهر موسى بدعوة الله الحق في وجه فرعون، وقال له {إني رسول رب العالمين } [الزخرف ٤٦] خاطبه ووجه له الخطاب وأمره ونهاه ودعاه أن يترك بني اسرائيل، ولكن فرعون أبى وجحد واتهمه بالسحر... وطال الظلم على بني إسرائيل ثم دعا فرعون موسى إلى المناظرة مع السحرة بعد أن اتهمه بالسحر. وافق موسى عليه السلام أن تكون هذه المناظرة لعل هذه المناظرة تكون الاختبار الأخير الذي ينجو بعده بنو إسرائيل.

وبالفعل جاء موسى عليه السلام في يومٍ أمام الناس ليناظر السحرة، فلقد اتهم بالسحر فلئن انتصر عليهم فليس هو بساحر وإنما هو رسول وبالفعل ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِميقاتِ يَومٍ مَعلومٍ﴾ [الشعراء ٣٨] وجاءوا ومنَّ الله عز وجل على موسى عليه السلام بالنصر ﴿فَأَلقى موسى عَصاهُ فَإِذا هِيَ تَلقَفُ ما يَأفِكونَ﴾ [الشعراء ٤٥] وخر السحرة ساجدين ﴿فَأُلقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدينَ﴾ [الشعراء ٤٦] ﴿قالوا آمَنّا بِرَبِّ العالَمينَ﴾ [الشعراء ٤٧] ﴿رَبِّ موسى وَهارونَ ﴾ [الأعراف ٤٨] في هذه اللحظات فرح بنو إسرائيل. أخيرا آمن السحرة، آمن أناس لم يتوقع أبدا بنو إسرائيل أن يؤمنوا. اعتقدوا أن في إيمانهم العزة لبني إسرائيل... فرحوا بهذا الإيمان، واعتقدوا أن النصر قد اقترب... ولكن المفاجأة أن فرعون يزداد ظلما وتعذيبا، فقال للسحرة ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيدِيَكُم وَأَرجُلَكُم مِن خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُم في جُذوعِ النَّخلِ وَلَتَعلَمُنَّ أَيُّنا أَشَدُّ عَذابًا وَأَبقى﴾ [طه ٧١] ولكن الله عز وجل منَّ بالثبات والإيمان على السحرة فقالوا لفرعون ﴿ وَما تَنقِمُ مِنّا إِلّا أَن آمَنّا بِآياتِ رَبِّنا لَمّا جاءَتنا رَبَّنا أَفرِغ عَلَينا صَبرًا وَتُبت أقدامنا﴾ [الأعراف ١٢٦] ومنَّ الله عز وجل عليهم وافرغ عليهم الصبر وثبت أقدامهم وتوفاهم مسلمين شهداء في هذا اليوم. تخيل معي الحالة النفسية التي مر بها بنو إسرائيل، حتى السحرة لما ءامنوا عذبهم فرعون، انتهى عند كثير منهم الأمل، بدأ اليأس والاحباط يسيطر عليهم بل ازداد فرعون ظلما بعد إيمان السحرة... خشي فرعون من انتشار الإيمان في البلاد بعد أن آمن السحرة فقال: ﴿وَقالَ المَلَأُ مِن قَومِ فِرعَونَ أَتَذَرُ موسى وَقَومَهُ لِيُفسِدوا فِي الأَرضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الأعراف ١٢٧] ستتركهم ! ستترك الإيمان ينتشر بينهم! قال فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبناءَهُم وَنَستَحيي نِساءَهُم﴾ [الأعراف ١٢٧] وما لنا ألا نفعل ذلك ﴿وَإِنّا فَوقَهُم

قاهِرونَ﴾ [الأعراف ١٢٧] !معنا كل العدة ومعنا كل الأسباب، لن يستطيعوا أن يقاوموا، لن يستطيعوا أن يفعلوا أي شيء! قال ﴿ سَنُقَتِّلُ أَبناءَهُم وَنَستَحيي نِساءَهُم وَإِنّا فَوقَهُم قاهِرونَ﴾ [الأعراف ١٢٧] عندنا كل الامكانيات، لن يستطيعوا أدنى مقاومة. ماذا قال موسى عليه السلام؟ لم يقل لهم استسلموا قال موسى عليه السلام: ﴿استعينوا بالله ﴾ [الأعراف ١٢٨] إن الله عز وجل هو الذي خلق الأرض والسماوات، إن الله عز وجل هو الذي خلق فرعون وجنده، إن الله عز وجل لو يشاء لانتصر منهم ولكن ليبلونا ببعض.

فقال موسى لقومه ﴿قالَ موسى لِقَومِهِ استَعينوا بِاللَّهِ وَاصبِروا إِنَّ الأَرضَ لِلَّهِ ﴾ [الأعراف ١٢٨] هذه الحقيقة التي ينساها الناس في ظل تداول الأيام بين الناس، في ظل انتصار بعض الظلمة لمدة من الزمن يتناسى أو ينسى الناس هذه الحقيقة؛ أن الملك ملكه سبحانه وتعالى، وأن الأرض أرضه سبحانه وتعالى، يفعل فيها ما يشاء. فقال موسى عليه السلام وهو موقنٌ بقدرة الله المطلقة ﴿ استَعينوا بِاللَّهِ وَاصبِروا إِنَّ الأَرضَ لِلَّهِ يورِثُها مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ﴾ [الأعراف ١٢٨] والنتيجة الحتمية التي أعلمها يقيناً من ربي والتي أوحاها إلى ربي ﴿ والعاقبة للمتقين﴾ [الأعراف ١٢٨] ﴿استعينوا بالله واصبروا إن الأَرضَ لِلَّهِ يورِثُها مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ وَالعاقِبَةُ لِلمُتَّقينَ﴾ [الأعراف ١٢٨]

فلما أخبرهم موسى بهذه الحقيقة قالوا وماذا فعل الإيمان؟ وماذا فعل الوحي؟ وماذا فعلت الطاعات؟ وماذا فعلت الدعوة؟ وماذا فعلت التربية؟ وماذا فعل التعليم؟﴿قالوا أوذينا مِن قَبلِ أَن تَأتِيَنا وَمِن بَعدِ ما جِئتَنا﴾ [الأعراف ١٢٩] لم يحدث أي تغير بمجيئك يا موسى، لم يحدث أي تغيير بنزول الوحي، لم يحدث أي تغيير بتكليم الله عز وجل لك... قال لهم موسى عليه السلام وهو موقن بقدره الله عز وجل ﴿قالَ عَسى رَبُّكُم أَن يُهلِكَ عَدُوَّكُم وَيَستَخلِفَكُم فِي الأَرضِ ﴾ [الأعراف ١٢٩] عسى أن يأتي يوم ترون فيه عدوكم بأعينكم وقد نصركم الله عز وجل عليه... تخيل بني إسرائيل يستمعون إلى هذه الكلمات من نبي الله موسى الموقن بقدرة الله. عسى ربكم أن يهلك عدوكم. تخيل بني إسرائيل؟ معقول؟ هل يمكن أن يأتي يوم يُهلك الله عز وجل فيه هذا الظالم؟ هل من الممكن أن يأتي يوم يُهلك الله عز وجل فرعون وجنوده كيف؟ ومتى؟ ...كيف يحدث ذلك؟ وهم فوقنا قاهرون كيف يحدث ذلك؟ ونحن ضعفاء لا نملك شيء!!!

ومتى سيحدث ذلك؟ لقد عانينا هذا التعذيب والظلم سنوات.

هل بالفعل سيأتي يوم نرى فيه الشمس، نرى فيه النور، نرى فيه الإيمان؟ هل من الممكن أن هذا الفرعون الظالم يُهلكه الله عز وجل؟ وكيف يأتي إليه الهلاك وقد أخذ بكل الأسباب والاحتياطات للنجاة؟! كيف يهلكه الله عز وجل وقد بنى لنفسه قصراً عظيما؟! كيف يهلكه الله عز وجل وقد اتخذ العدة والجنود ما حصن به نفسه؟ كيف يهلكه الله؟!

هذه كلمات وفكر الناس الذين لم يبصروا قدرة الله المطلقة لكن موسى عليه السلام قال: ﴿عَسى رَبُّكُم أَن يُهلِكَ عَدُوَّكُم وَيَستَخلِفَكُم فِي الأَرضِ ﴾ [الأعراف ١٢٩] أنتم الآن تمتحنون بامتحان البلاء والشدة، غداً يكون امتحان التمكين... إذاً هي مجرد امتحانات مجرد أن الله عز وجل يمتحنك بهذا الظالم وأن الله عز وجل لو أراد أن يهلك هذا الظالم ببعوضة لأهلكه...وبالفعل قدَّر الله عز وجل هذا اليوم...هذا اليوم العظيم الذي نعيشه في هذه الأيام يوم عاشوراء... قدر الله عز وجل في مثل هذا اليوم أن فرعون ينزل بنفسه ليقود المعركة، فرعون من شدة الغطرسة ومن شدة التكبر والثقة فيما معه من جنود نزل بنفسه ليقود الجنود- في ظنه- لإهلاك موسى ومن معه!!! نزل بنفسه ليقود الجنود... آلاف مؤلفة من الجنود والعدة والعتاد... وبالفعل فر موسى عليه السلام وسار بقومه ليلاً واخذ قومه وسار هربا من فرعون، وإذ بالبحر يعترضهم! ماذا سيحدث الآن ؟فقال قوم موسى الذين لم يخالط اليقين قلوبهم: لا أمل...سنهلك ﴿إِنّا لَمُدرَكونَ﴾ [الشعراء ٦١] ...كما قلنا لك من قبل لا أمل، قلنا لك:﴿ أوذينا مِن قَبلِ أَن تَأتِيَنا وَمِن بَعدِ ما جِئتَنا ﴾ [الأعراف ١٢٩] قلنا لك من قبل ليس هناك أمل!

ولكن موسى عليه السلام قال ﴿قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء ٦٢] إن الله عز وجل وعدني، ووعد الله عز وجل ﴿حَقّا وَلَٰكِنَّ أَكثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعلَمُونَ ﴾ [النحل ٣٨].

اقترب فرعون ومن معه من الجنود، اقتربوا من موسى وبالفعل في هذه اللحظات أوحى الله عز وجل إلى موسى ﴿أَنِ ٱضرِب بِّعَصَاكَ ٱلبَحرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرقٖ كَٱلطَّودِ ٱلعَظِيمِ ﴾ [الشعراء ٦٣]... وسار موسى ومن معه آمنين وسط البحر. ولكن كبر فرعون وغطرسته دفعته إلى أن يتبعهم، فأغرقه الله عز وجل وأهلكه الله عز وجل في هذا اليوم في يوم عاشوراء.

فهذا يوم يفرح به المظلمون... هذا اليوم يعطى الأمل دائما للمظلومين؛ أن الله عز وجل قادر على أن يهلك الظالمين بأي شيءٍ يفعله سبحانه وتعالى...

قال ربنا ﴿فَكُلًّا أَخَذنا بِذَنبِهِ فَمِنهُم مَن أَرسَلنا عَلَيهِ حاصِبًا وَمِنهُم مَن أَخَذَتهُ الصَّيحَةُ وَمِنهُم مَن خَسَفنا بِهِ الأَرضَ وَمِنهُم مَن أَغرَقنا وَما كانَ اللَّهُ لِيَظلِمَهُم وَلكِن كانوا أَنفُسَهُم يَظلِمونَ ۝ مَثَلُ الَّذينَ اتَّخَذوا مِن دونِ اللَّهِ أَولِياءَ كَمَثَلِ العَنكَبوتِ اتَّخَذَت بَيتًا وَإِنَّ أَوهَنَ البُيوتِ لَبَيتُ العَنكَبوتِ لَو كانوا يَعلَمونَ﴾ [العنكبوت ٥١-٤٢]

كل الأسباب التي يتخذها أهل الظلم والظلمة، كل هذه الأسباب التي يحتاطون بها حتى لا يهلكهم الله عز وجل هي مجرد خيوط عنكبوت يحتمون بها، فإذا نزل قدر الله عز وجل عليهم ولو بريحٍ خفيفة تهلكهم بقدرة الله عز وجل. هذه الأيام لابد ان نتذكر فيها أن الله عز وجل قادرٌ قديرٌ مقتدر، يفعل ما يشاء في ملكه سبحانه وتعالى، ومن رحمته أن قدَّر هذه الأيام... مثل يوم عاشوراء فهو يومٌ من أيام الله.

وابتدأ موسى عليه السلام دعوته مع قومه أيضاً كما أمره الله عز وجل﴿وذكرهم بأيام الله ﴾[إبراهيم ٥] أن أيام الله عز وجل تترا على مدار الزمان... يوم أهلك الله عز وجل وأغرق فيه قوم نوح ويوم أهلك فيه عاد ويوم أهلك فيه ثمود ويوم... ويوم... هذه الأيام التي حدثت ونرى بأعيننا أمثالها في هذه الحياة، أيام يهلك الله عز وجل فيها الظالمين، أيام يرسل الله عز وجل فيها رياح -مجرد هواء- على دولةٍ كاملة لطالما تجبرت وطغت وعتت في الأرض فساداً، فتراها حائرةً تائهةً أمام مجرد رياح أرسلها الله عز وجل أو زلزال أو بركان! فقدرة الله عز وجل مطلقة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعلَمُونَ ﴾ [النحل ٣٨].

تأتي هذه الأيام لنتذكر فيها هذه المعاني ليزداد اليقين في قدرة الله عز وجل مهما طال الظلم. الله عز وجل يبتلينا بهذا الظلم ولكن الله عز وجل قادر على أن يهلك الظلمة ولو بالبعوض كما أهلك النمرود، ولو بالفأرة كما دمر السد على قوم سبأ... ولو بأقل الأسباب التي يظن الإنسان أنها لا تفعل شيئا!

قال ربنا سبحانه وتعالى ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِن حَيثُ لَم يَحتَسِبوا ﴾ [الحشر ٢] اليهود لما بنوا الحصون العظيمة ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُم مانعتهما حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر ٢]! ظنوا أن هذه الحصون لن تسقط أبدا! قال الله عز وجل ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِن حَيثُ لَم يَحتَسِبوا وَقَذَفَ فِي قُلوبِهِمُ الرُّعبَ ﴾ [الحشر ٢] أتاهم من حيث لم يعتقدوا، أتاهم من الخوف، أتاهم من قلوبهم!

هذه الأيام تعطينا الأمل، تعطينا اليقين بموعود الله، علينا الصبر والعمل لدين الله عز وجل أيا كانت النتائج...لابد للمؤمن أن يصبر ويصابر ويعمل لدين الله عز وجل ويجاهد لنصرة دين الله عز وجل...

ولا ينشغل بطغيان الظالمين، فإن الله عز وجل ضارب لهم موعدا لن يُخلفوه أبدا؛ إما في الدنيا وإما في الآخرة... ونحن نرضى بقضاء الله عز وجل ونرضى بتدبير الله عز وجل لنا.

من رحمته سبحانه وتعالى أن قدر هذه الأيام أيام الله عز وجل التي تتجلى فيها قدرة الله المطلقة.

لذلك لما طغى صاحب الجنتين وتكبر على صديقه المؤمن الفقير وقال له ﴿ أَنَا أَكثَرُ مِنكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرا ﴾ [الكهف ٣٤] قال له المؤمن الموقن بقدرة الله عز وجل ﴿فَعَسى رَبِّي أَن يُؤتِيَنِ خَيرًا مِن جَنَّتِكَ وَيُرسِلَ عَلَيها حُسبانًا مِنَ السَّماءِ فَتُصبِحَ صَعيدًا زَلَقًا ۝ أَو يُصبِحَ ماؤُها غَورًا فَلَن تَستَطيعَ لَهُ طَلَبًا ۝ وَأُحيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيهِ عَلى ما أَنفَقَ فيها وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُروشِها وَيَقولُ يا لَيتَني لَم أُشرِك بِرَبّي أَحَدًا﴾ [الكهف ٤٠-٤٢] ﴿وَلَم تَكُن لَهُ فِئَةٌ يَنصُرونَهُ مِن دونِ اللَّهِ وَما كانَ مُنتَصِرًا ۝ هُنالِكَ الوَلايَةُ لِلَّهِ الحَقِّ هُوَ خَيرٌ ثَوابًا وَخَيرٌ عُقبًا﴾ [الكهف ٤٣-٤٤]

وفي قراءة {هنالك الولاية لله الحق }[الكهف ٤٤] هنالك: أي في هذه اللحظات، في هذا اليوم تحديدا ظهرت قدرة الله المطلقة.. {هنالك الولاية} [الكهف ٤٤] أي هنالك الملك لله وحده سبحانه وتعالى، في هذا اليوم تحديدا ظهر لكل الناس، للظالم وللمظلوم، لكل الناس، ظهر لهم أن الملك لا يكون إلا له وحده سبحانه وتعالى. ألا إله الا الله وحده سبحانه وتعالى، نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، فلا شيء بعده سبحانه وتعالى.

تأتي هذه الأيام التي نعيشها لتذكرنا بهذه الحقائق التي حدثت فعلًا في هذه الدنيا، حدثت ولم نراها بأعيننا؛ ولكننا نراها بقلوبنا لأن الله أخبرنا بها في كتابه.

كما قال ربنا ﴿أَلَم تَرَ كَيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصحَٰبِ ٱلفِيلِ﴾ [الفيل ١] ﴿أَلَم تَرَ كَيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ* إِرَمَ ذَاتِ ٱلعِمَادِ* ٱلَّتِى لَم يُخلَق مِثلُهَا فِى ٱلبِلَٰدِ﴾ [الفجر ٦-٨] إننا لم نرهم بأعيننا ولكننا نصدق كلام الله أكثر من أن نصدق أعيننا، نوقن بقدرة الله -عز وجل-، وأن الله -عز وجل- قادرٌ على أن يفعل ما يشاء ملكه، وأن ما يحدث الآن للظالمين في الأرض إنما هو استدراج وإنما هو إمهال فإن ربي -سبحانه وتعالى- يمهل ولا يهمل، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود ١٠٢]، يتركهم الله -عز وجل- ابتلاءً لهم وابتلاءً للمستضعفين وابتلاءً للمسلمين؛ حتى تظهر أنواع من العبوديات لم تكن لتظهر إلا في هذه الابتلاءات، في وقت الاستضعاف يظهر من المسلمين أنواع كثيرة من العبوديات من التضحية والبذل والدعاء والتضرع والبذل لنصرة دين الله بالأموال والأولاد

والدماء لم تظهر في وقت التمكين، يقدر الله –عز وجل– هذه الأوقات ليرى منا –سبحانه وتعالى– هذه العبوديات التي يحب أن يراها، هذه العبوديات التي لا تقدر عليها الملائكة، يقدر الله –سبحانه وتعالى– أوقات الاستضعاف لتظهر منا أنواع العبوديات، لتظهر منا أنواع العبوديات فيباهي الله –عز وجل– بنا الملائكة، ويقول لملائكته انظروا إلى عبادي إنهم مستضعفون ولكنهم يصبرون ويصابرون ويبذلون ويجاهدون، لن يتخلوا عن ديني، ينصرون ديني، يرفعون كلمتي، يرفعون وحيي، هؤلاء أباهي بهم الآن الملائكة، أنتم قلتم عنهم أنك يا ربنا إن خلقتهم عثوا في الأرض فسادًا.

لما قال الله –عز وجل ﴿إِنِّى جَاعِل فِى ٱلأَرضِ خَلِيفَة﴾ [البقرة ٣٠] – قالت الملائكة: ﴿ أَتَجعَلُ فِيهَا مَن يُفسِدُ فِيهَا وَيَسفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحنُ نُسَبِّحُ بِحَمدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة ٣٠]، فقال الله –عز وجل–: ﴿إِنِّىٓ أَعلَمُ مَا لَا تَعلَمُونَ ﴾ [البقرة ٣٠]، إني أعلم أنه سيخرج منهم من يبذل ماله ودمه وولده لنصرة دينه.

هكذا يقدر الله –عز وجل– هذه الأوقات، ثم بعد ذلك تمر هذه الأوقات، وينصر الله –عز وجل– الدين، سواءً رأينا هذا بأعيننا أم لم نره...نحن نوقن أن هذا سيحدث.

قال الله –عز وجل–: ﴿ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ ﴾ [غافر ٧٧] الخطاب للنبي –صلى الله عليه وسلم–﴿ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُم أَو نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ [غافر ٧٧] قد ترى بعض الوعود بالتمكين، وقد تموت ولا ترى شيئًا، ولكنك تموت وأنت موقن أن الله –عز وجل– ينصر هذا الدين.

مات جزءٌ من الصحابة في مكة، بل ماتت أمنا خديجة –رضي الله عنها– في شعب أبي طالب، ماتت من الجوع، ماتت وهي موقنةٌ أن الله –عز وجل– ناصرٌ أولياءه، ومعزٌ لجنده، وللعاملين لدينه، هكذا تأتي هذه الأيام لتحيي فينا هذه المعاني.

هذا اليوم يوم عاشوراء يوم من أيام الله، هو يوم فرح، هو يوم نصر ويوم أمل، هو يوم بشرى،

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم..

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمدٍ –صلى الله عليه وسلم–.

هذا اليوم العظيم في هذا الشهر العظيم يوم عاشوراء، كما قلنا هو يوم الأمل ويوم البشرى، هذا اليوم الذي يجدد الأمل للمظلومين الذين طال عليهم الظلم وطال عليهم البلاء، تأتي هذه الأيام يستنشقوا فيها هذا النسيم الذي يسكب في قلوبهم الطمأنينة.

يتذكروا هذه اللحظات، ويعيشوا معها، ويستمعوا بقلوبهم إلى قول موسى: ﴿ ٱستَعِينُوا بِٱللَّهِ وَٱصبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلأَرضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِن عِبَادِهِۦۖ وَٱلعَٰقِبَةُ لِلمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف ١٢٨]، يستمعوا إلى قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُم أَن يُهلِكَ عَدُوَّكُم وَيَستَخلِفَكُم فِى ٱلأَرضِ فَيَنظُرَ كَيفَ تَعمَلُونَ﴾ [الأعراف ١٢٩]

هذا اليوم لما قدم النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى المدينة وجد اليهود يصومون هذا اليوم، فسأل عن ذلك فقالوا هذا يومٌ نجى الله فيه موسى من فرعون، فصامه موسى، فنحن نصومه، فقال لهم النبي –صلى الله عليه وسلم–: (نحن أحق بموسى منكم)، و صامه النبي –صلى الله عليه وسلم– وأمر بصيام هذا اليوم،[٢] قال عنه النبي –صلى الله عليه وسلم–: (إني لأحتسب على الله أن يكفر سنةً قبله)[٣] صيام هذا اليوم شكرًا لله –عز وجل– على هذه النعمة، المؤمن الصادق يفرح بإهلاك الظالمين لأنه طالما تأذى منهم، فهو يفرح بهذا اليوم، بل هذا اليوم يفرح به كل الكون، الأرض تفرح، والنباتات تفرح، كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم:– (مستريحٌ ومستراحٌ منه)، أما المستريح فهو المؤمن استراح من تعب الدنيا ونصبها. وأما المستراح منه فهو الكافر والفاجر، استراحت منه البلاد والشجر والدواب، حينما يموت الكافر والفاجر تستريح الدواب، تستريح منه[٤] لأن الله –عز وجل– قد ينزل البلاء العام بسبب هذه الذنوب ﴿ظَهَرَ ٱلفَسَادُ فِى ٱلبَرِّ وَٱلبَحرِ بِمَا كَسَبَت أَيدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا﴾ [الروم ٤١].

---

[٢] عن عبد الله بن عباس: لَمّا قَدِمَ النبيُّ ﷺ المَدِينَةَ وجَدَ اليَهُودَ يَصُومُونَ عاشُوراءَ، فَسُئِلُوا عن ذلكَ، فَقالوا: هذا اليَوْمُ الذي أظْفَرَ اللَّهُ فيه مُوسى، وبَنِي إسْرائِيلَ علَى فِرْعَوْنَ، ونَحْنُ نَصُومُهُ تَعْظِيمًا له، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: نَحْنُ أوْلى بمُوسى مِنكُمْ، ثُمَّ أمَرَ بصَوْمِهِ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٣٩٤٣ • [صحيح] •

[٣] عن أبي قتادة: صيامُ يومِ عرفةَ إنِّي أحتسِبُ على اللهِ أنْ يُكفِّرَ السَّنةَ الَّتي قبلَه والسَّنةَ الَّتي بعدَه وصيامُ يومِ عاشوراءَ إنِّي أحتسِبُ على اللهِ أنْ يُكفِّرَ السَّنةَ الَّتي قبلَه
ابن حبان (ت ٣٥٤)، صحيح ابن حبان ٣٦٣٢ • أخرجه في صحيحه

[٤] [عن أبي قتادة الحارث بن ربعي:] أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ مُرَّ عليه بجِنازَةٍ، فَقالَ: مُسْتَرِيحٌ ومُسْتَرَاحٌ منه قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، ما المُسْتَرِيحُ والمُسْتَرَاحُ منه؟ قالَ: العَبْدُ المُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِن نَصَبِ الدُّنْيا وأَذاها إلى رَحْمَةِ اللَّهِ، والعَبْدُ الفاجِرُ يَسْتَرِيحُ منه العِبادُ والبِلادُ، والشَّجَرُ والدَّوابُّ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٦٥١٢ • [صحيح] • شرح الحديث

فلما قدم النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى المدينة فسأل عن هذا اليوم، فقال نحن أحق بموسى منكم، [٥] هكذا يكون الولاء، هكذا يكون البراء، تولى النبي –صلى الله عليه وسلم– موسى عليه السلام بصيام هذا اليوم، وتبرأ من اليهود بزيادة يومٍ على هذا اليوم فقال: لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع، [٦] لماذا يصوم التاسع؟ مع أن اليوم الذي نجى فيه الله سيدنا موسى هو العاشر، هو عاشوراء؛ صام التاسع لمخالفة اليهود والنصارى.

إن مخالفة اليهود والنصارى أمر أصيل في ديننا. أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– بمخالفتهم في كثيرٍ من الأشياء، في اللحى وفي الشارب وفي النعل وفي اللباس وفي الصلاة وفي الطعام وفي المشي، أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– بمخالفتهم في كثيرٍ من الأشياء، حتى قال أحد اليهود لسلمان الفارسي والله ما أراد صاحبكم إلا أن يخالفنا، كلما يتعرف على حكم من أحكام المسلمين؛ يجد فيه مخالفة لليهود والنصارى، فإن مخالفة اليهود والنصارى أمر أصيل في هذا الدين، بل حذر النبي –صلى الله عليه وسلم– من أن نسير على طريقهم، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبرًا بشبر حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه وراءهم)، فقالوا: اليهود والنصارى؟ –هل هم اليهود والنصارى؟–قال: (فمن هو)– أي هل يوجد غيرهم أنتم ستتأثرون بهم؟ قال فمن؟ [٧]

إذًا حذر النبي –صلى الله عليه وسلم– من ذلك، حتى في صوم يومٍ يوالي فيه نبينا –صلى الله عليه وسلم– أخيه موسى، وإن صام هذا اليوم الذي نجى الله –عز وجل– فيه موسى ولكنه أراد أن يضم إلى ذلك مخالفة اليهود، فقال لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع.

إذًا يستحب للإنسان الذي يريد أن ينال هذا الفضل –تكفير السنة الماضية– أن يضم إلى صيام عاشوراء صيام اليوم التاسع من محرم، يصوم يوم تاسع محرم، ويصوم اليوم العاشر من محرم أيضًا.

---

[٥] [عن عبد الله بن عباس:] قدمَ النَّبيُّ ﷺ المدينةَ فوجدَ اليَهودَ صيّامًا فقالَ ما هذا قالوا هذا يومٌ أنجى اللَّهُ فيهِ موسى وأغرقَ فيهِ فرعونَ فصامَهُ موسى شُكرًا فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ نحنُ أحقُّ بموسى منكُم فصامَهُ وأمرَ بصيامِهِ
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح ابن ماجه ١٤١٩ • صحيح • شرح رواية أخرى

[٦] [عن عبد الله بن عباس:] لَئِنْ بَقِيتُ إلى قابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَاسِعَ. وفي رِوايَةِ أَبِي بَكْرٍ: قالَ: يَعْنِي يَومَ عاشُوراءَ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ١١٣٤ • [صحيح] •

[٧] [عن أبي سعيد الخدري:] لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن قَبْلَكُمْ شِبْرًا بشِبْرٍ، وَذِراعًا بذِراعٍ، حتّى لو سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنا يا رَسُولَ اللَّهِ: اليَهُودَ، والنَّصارى قالَ: فَمَنْ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٣٤٥٦ • [صحيح] •

أحبتي في الله، في هذه الأوقات قيل إن الله –عز وجل– في هذا اليوم –يوم عاشوراء– هذا اليوم الذي استقرت فيه سفينة نوح على الجودي. هذا اليوم يومٌ عظيم يومٌ من أيام الله.

أيضًا في هذه الأيام التي نعيشها هي بداية التاريخ الهجري، الذي أصبح الآن منسيًا عند كثيرٍ من الناس، ولا يعرفه كثيرٌ من الناس، بل كثيرٌ من الناس لا يعرف ما هي أسماء الشهور العربية، لا يستطيع أن يعد أسماء الشهور العربية!

هذا الشهر بدأ التاريخ الهجري، ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهرا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَومَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرضَ﴾ [التوبة ٣٦] هذه الشهور موجودة منذ خلق الله –عز وجل– السماوات والأرض، أي أن محرم وصفر وربيع الأول وربيع الآخر، هذه الشهور هي الموجودة أولًا منذ خلق الله –عز وجل– السماوات والأرض، ولكن المشركين كانوا يحرفون فيها.

هاجر النبي –صلى الله عليه وسلم–، بداية التاريخ بدأت من الهجرة، لماذا بدأ التاريخ من الهجرة؟

بداية نذكر أن هجرة النبي –صلى الله عليه وسلم– كانت في شهر ربيعٍ الأول، هذه معلومة لا يعرفها كثيرٌ من الناس، يظنون أنه هاجر في المحرم، هاجر النبي –صلى الله عليه وسلم– في شهر ربيع الأول؛ ولكن الصحابة لما اجتمعوا في عهد عمر ابن الخطاب، وقالوا من أين نبدأ التاريخ ؟ اختلفوا أولًا من أين يبدأوا التاريخ الهجري، هل من مولده –صلى الله عليه وسلم–؟ أم من هجرته؟ أم من مبعثه؟ أم من وفاته –صلى الله عليه وسلم–؟ اقترحوا أربع مناسبات، إما مولده أو البعثة أو الهجرة أو الوفاة، وبعد تداولٍ بين الصحابة وفقهم الله –عز وجل– واجتمعوا على اختيار الهجرة، ولا تجتمع أمة النبي –صلى الله عليه وسلم– على ضلالة[٨]، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم– (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي).[٩]

اجتمع ثلاثة من الخلفاء الراشدين عمر وعثمان وعلى كما أشار ابن حجر، أن الثلاثة اجتمعوا على أن تكون البداية من الهجرة، وهذا من توفيق الله –عز وجل– لهم، لماذا كانت البداية من الهجرة؟ لأن ديننا

[٨] [لفظه نفس لفظ الحديث ٣ مع اختلاف في الحركات أو علامات الترقيم]
[عن [أبو بصرة الغفاري]:] لا تجتمعَ أمَّتي على ضلالةٍ
الزرقاني (ت ١١٢٢)، مختصر المقاصد ١١٧٩ • صحيح •

[٩] عليكم بسنَّتي وسنَّةِ الخلفاءِ الراشدينَ المهديِّينَ بعدي، عضُّوا عليها بالنَّواجذِ
البزار (ت ٢٩٢)، جامع بيان العلم ٩٢٤/٢ • إسناده صحيح •

أحبتي في الله هو دين بذلٍ وعمل، الدين لا يتعلق بالأشخاص، فقال الله –عز وجل– للنبي –صلى الله عليه وسلم– ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُول قَد خَلَت مِن قَبلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِين مَّاتَ أَو قُتِلَ ٱنقَلَبتُم عَلَىٰٓ أَعقَٰبِكُم﴾ [ال عمران ١٤٤]، إن هذا الدين مرتبطٌ بالبذل، ولن يكون لنا تاريخٌ أبدًا إلا أن يكون لنا دولة يطبق فيها شرع الله –عز وجل–.

بدأت كتابة التاريخ من يوم أن كان للمسلمين دولة في المدينة، لما كانوا في مكة لم يكتب لهم تاريخ، لم يفعلوا شيئًا يكتب به التاريخ، فلما هاجروا إلى المدينة، وأمن النبي –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه، وصلوا لله –عز وجل– آمنين؛ كتبوا التاريخ من هذه اللحظات. إذًا بداية التاريخ من الهجرة تدل على أن هذا الدين لا يتعلق بالأشخاص، بمولد أحد أو بوفاته، إن هذا الدين يتعلق بالبذل، يكتب لنا تاريخ حينما نبذل لهذا الدين. ونترك الأرض والمال لنصرة الدين، حينما لا نفعل ذلك نكون في ذيل الأمم، ولا يكتب لنا تاريخ حتى لو انتسبنا إلى النبي –صلى الله عليه وسلم–، أو انتسبنا إلى الإسلام.

الانتساب وحده لا يرفعنا، الذي يرفع هذه الأمة أن تبذل ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ﴾ [ال عمران ١١٠] بسبب أفعالكم ﴿تَأمُرُونَ بِٱلمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ ٱلمُنكَرِ﴾ [ال عمران ١١٠]، لقد أخرجنا للناس ورفعنا الله –عز وجل– خير أمة بسبب ما نبذل من أفعال ومن طاعات، فلو تخلينا عن البذل لدين الله –عز وجل– لم يكن لنا تاريخ. وبالفعل التاريخ الهجري الآن أصبح منسيًا في كثيرٍ من الدول، حينما تعود الأمة في مقدمة الأمم وتبذل ويبذل المسلمون لنصرة دينهم، ويهجرون ما نهى الله –عز وجل– عنه يكتب لنا التاريخ مرةً أخرى، ويُصَدر التاريخ الهجري مرةً أخرى.

إذًا أحبتي في الله منّ الله –عز وجل– على هذه الأمة أن كان التاريخ من الهجرة، أيضًا ذكر الإمام ابن حجر لماذا بدأ من المحرم ولم يبدأ من ربيع الأول، قال الإمام ابن حجر أقوالًا كثيرة جداً، قال: وأقواها عندي أن العزيمة على الهجرة كانت في شهر الله المحرم بعد بيعة العقبة في ذي الحجة فأول هلالٍ استهل على النبي –صلى الله عليه وسلم– هو هلال المحرم، عزم النبي –صلى الله عليه وسلم– على الهجرة فبدأوا من يوم العزيمة.

وهكذا يوم العزيمة عند الإنسان هو هذا اليوم الذي يحب أن يدونه، ويبدأ به، أهم شيءٍ أن تأتي العزيمة، لو أتت العزيمة على الإنسان وفعل ما فعل ولم يحقق النتائج آتاه الله –عز وجل– الثواب.

قال ربنا –سبحانه وتعالى– ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [النساء ١٠٠] لقد عزم وبدأ وخرج ولكنه لم يصل ثم أدركه الموت ﴿فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء ١٠٠].

بالفعل خرج أحد أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– وكان مريضاً، وقال : "لكني لا أتخلف عن رسول الله أبدًا" –صلى الله عليه وسلم–، وخرج مهاجرًا وهو مريض، ثم في بدايات الطريق وهو مهاجر من مكة إلى المدينة أتاه ملك الموت، فوضع يده اليمنى على يده اليسرى، وقال: "هذه يدي أبايعك يا رسول الله –صلى الله عليه وسلم–"، ثم مات فبلغ ذلك النبي –صلى الله عليه وسلم–، وبالفعل أنزل الله –عز وجل– ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء ١٠٠]

قال عمر بن الخطاب: هذا يومٌ فرق الله فيه بين الحق والباطل، يوم الهجرة نبدأ به التاريخ، في بدايات التفريق بين الحق والباطل، قال آخرون: هذا يومٌ أمن الله –عز وجل– فيه نبيه وصلى الصحابة آمنين، إذًا نبدأ به التاريخ. وقال آخرون في قول الله –عز وجل–:﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ﴾ [التوبة ١٠٨] على قول إن هذا مسجد قباء، وأن النبي –صلى الله عليه وسلم– أسسه أول دخوله المدينة، فقالوا كلمة "أول يومٍ "كأنه أول يومٍ في التاريخ.

هذه الاستئناسات من الصحابة واجتماعهم، قرروا أن يكون التاريخ من بداية شهر الله المحرم، من هجرة النبي –صلى الله عليه وسلم–، وكتب التاريخ دولًا إسلامية، وكتب التاريخ بطولات قام بها المسلمون، ولكن للأسف كتب التاريخ سقوطًا لدولٍ إسلامية، وكتب التاريخ مخازيًا قام بها المسلمون من تخلٍ عن الدين ومن تناحرٍ بين بعضهم البعض وتناسٍ للعدو الأساسي.

أما آن للمسلمين في هذا الشهر أن يتجمعوا!،

أن يذكروا البذل الذي قدموه من قبل!،

أما آن للمسلمين أن يتذكروا التاريخ العظيم المشرف الذي كان لآبائهم وأجدادهم!،

أما آن لهم أن يسيروا على دربهم!،

أن يبدأوا هذا العام مستبشرين بأمل من الله –عز وجل–، وبالبشرى من الله –عز وجل– في يوم عاشوراء، في اليوم الذي أهلك الله –عز وجل– فيه عدوه، يبدأون هذا العام مستبشرين عاملين مجاهدين باذلين لأموالهم ولدمائهم لنصرة هذا الدين.

أسأل الله –عز وجل– أن يستعملنا لنصرة دينه، اللهم استعملنا ولا تستبدلنا، اللهم قيض لهذا البلد أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويهدى فيه أهل معصيتك، ويأمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، اللهم اصرف عن بلادنا الفتن وعن سائر بلاد المسلمين، اللهم انصر المجاهدين في كل مكان، اللهم انصرهم يوم أن تخلينا عنهم، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واستعملنا ولا تستبدلنا يا رب العالمين.

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وأقم الصلاة.